مسألة المعنى ونشأة التحليل في الفلسفة المعاصرة

د. جمال حمود،
جامعة منتوري، قسنطينة.

أولا – التحليل أو الثورة في الفلسفة:

يعد القرن العشرون بحق قرنا للثورات في الفكر البشري بصفة عامة، أما في الفلسفة فقد ظهرت حركة فلسفية كان لها تأثير كبير على الفلسفة المعاصرة بأكملها وصفها ديفيد بيرس " بالثورة "، ومن أجلها وصف مورتن وايت القرن العشرين بأنه " عصر التحليل"، تلك الحركة هي ما اصطلح عليه بالفلسفة التحليلية، أو حركة التحليل المعاصر.

ولعل ما جعل الفلسفة التحليلية توصف بأنها ثورة هو اتفاق أعضائها جميعهم على أن أول ما ينبغي على الفلسفة فعله هو تحديد موضوعها بدقة، حتى تكون شبيهة بالعلم، فالعلم التجريبي إنما تقدم بفعل تحديد موضوعه . لهذا نجد فلاسفة التحليل المعاصرين يقولون بأن موضوع الفلسفة لا يمكن أن يكون الواقع، لأن هذا هو موضوع العلم التجريبي، ولكن موضوع الفلسفة المفضل هو الخطاب الذي يقوله العلماء وما يقوله الناس في حياتهم اليومية (زكي نجيب، م، 1980: 238). ومن هنا نلاحظ أن هؤلاء الفلاسفة التحليليون يبتعدون بالفلسفة عن وظيفتها التقليدية التي عرفت بها عند الفلاسفة التأمليين أمثال أفلاطون وأرسطو وغيرهما.ويتحولون بها من التفكير المجرد إلى تحليل اللغة من أجل توضيحها، ومن ثم تصبح الفلسفة– على حد تعبير فتغنشتاين- نشاطا ضد كل أنواع الخلط الفكري الذي تمتلئ به الفلسفة كلها (فتغنشتاين، ل، 1968: 3.324).

ثانيا- اللغة كموضوع للفلسفة:

إن تحول موضوع الفلسفة عند أصحاب الفلسفة التحليلية إلى الاهتمام باللغة كان رافدا هاما ساهم في تطور الأبحاث اللغوية في القرن العشرين، هذه الأبحاث التي يندرج معضمها ضمن ما أصبح يعرف بفلسفة اللغة Philosophy of language، لهذا ومن أجل فهم واف للفلسفة التحليلية واتجاهاتها وجب دراسة هذه الفلسفة من خلال موقفها من اللغة والذي سيكشف بدوره عن موقفها من قضايا أخرى لا تقل أهمية، منها مفهوم الفلسفة ووظيفتها ومشكلة القضايا الميتافيزيقية والخلو من المعنى ...الخ.

إن اهتمام فلاسفة التحليل باللغة كان تعبيرا عن اهتمام فلسفي ومنطقي باللغة باعتبارها إطارا ملائما لحل كل المشكلات الفلسفية بما فيها المشكلات التي تخص المنطق و فلسفة الرياضيات، إذ لم تكن تحليلاتهم للغة مقتصرة على البحث في المسائل اللغوية المحضة كما هو الحال عند علماء اللغة، لكنها كانت تربط تلك المسائل بالمشكلات الفلسفية، لهذا السبب لم تكن الفلسفة اللغوية عند فلاسفة التحليل فرعا من فروع الفلسفة: كفلسفة العلم أو فلسفة الرياضيات أو فلسفة الأخلاق أو غيرها. وعليه – وكما يرى كاتز- لم تكن فلسفة اللغة ناتجة عن تقسيم للعمل الفلسفي (Katz , G ,

(14 :1966، فقد كانت تهدف إلى فهم طبيعة الأنساق المنطقية و العلمية و الفلسفية كما يضعها المناطقة و العلماء و الفلاسفة حيث تعمل على شرح و توضيح طبيعة تلك الأنساق من خلال توضيح القضايا التي تعبّر عنها بغية جعل تلك الأنساق أكثر وضوحا، ولذلك فهي أكثر شمولا في إهتماماتها من فلسفات العلوم الأخرى.فالفلسفة اللغوية عند "فتغنشتاين"مثلا تهتمّ بالمشكلات الفلسفية التقليدية مثل مشكلة الكليات و الجزئيات ومشكلة العالم ومشكلة المعرفة وغيرها، كما أنها تهتمّ بالمشكلات المنطقية والرياضية كمشكلة أسماء الأعلام و مشكلة الضرورة وطبيعة العدد وغيرها. والبحث في مشكلة المعنى كمشكلة أساسية في فلسفة اللغة، يرتبط ارتباطا وثيقا بالبحث في مشكلة طبيعة الرموز في اللغة . وتكمن أهمّية البحث في الرمزية "Symbolism" في أنها ذات تأثير كبير في أرائنا إزاء ماهنالك من أشياء حيث يرى رسل أن الرمزية تؤثر سلبا في " الإحساس العام " " Common sens " من ناحيتين:

1- تؤثر الرمزية في الإحساس العام بألفاظها "Vocabulary"، إذ يعتقد الإحساس العام في وجوب أن يكون هناك شيء واحد لكل لفظ واحد في اللغة حيث يكون ذلك الشيء كلّيا "Universal" في حالة الصفة أو العلاقة، وهكذا يكون لدينا عدد من الأشياء بقدر ما هنالك من ألفاظ في اللغة، ومنه يميل الإحساس العام واقعا تحت تأثير الألفاظ إلى نوع من الكثرة الأفلاطونية (Russell,B 1950: 368).

2- تؤثر الرمزية في الإحساس العام بتراكيبها "Syntax"، فاللغات الأوربية - مثلا- تتألف من الكثير من القضايا التي ترد في صورة موضوع - محمول "Object - Predicat" تقوم بينهما رابطة. الموضوعات في تلك القضايا تدلّ على جواهر "Substances" و المحمولات تعبّر عن أعراض "Accidents". وهذا التقسيم للأشياء إلى جواهر وأعراض يجعل الإحساس العام يعتقد أن هنالك في عالم الأشياء جواهر أو عناصر ثابتة تدوم في الزمان و المكان بينما الأعراض تتغير وتزول. لكن الواقع - كما انتهت إليه الفيزياء الحديثة - لم يعد يحتوى على عناصر ثابتة (رسل، ب، 1960: 207).

وهذا يؤكد أن اللغة العادية دليل مضلل "Misleading guide"، كما لا يمكننا أن تعبّر بدقة عن الفكر العلمي(بدوي، ع، 1979: 242) . لذلك وجب علينا أن نأخذ حذّرنا من تلك اللغة وهذا ما ذهب إليه - أيضا- "فتغنشتاين" وبشكل أكثر صرامة من موقف "رسل " حيث قال في "الرسالة": « إنّ الفلسفة كلّها عبارة عن نقد للغة » (فتغنشتاين، ل، 1968: 4,0031).

ويكمن تأثير اللغة السلبي - بشكل خاص- في سوء فهمنا لطبيعة الرمزية واعتبار خواص الرموز خواصا للأشياء التي ترمز إليها، حيث يصبح توحيد الرمز بالشيء عقبة إبيستمولوجية أمام معرفة اللغة ومعرفة وظيفتها (Grawitz, M, 1981: 301)، وتكمن هذه العقبة في أن توحيد الرمز بالشيء يجعل معرفتنا باللغة مستحيلا بدون حضور الأشياء التي ترمز إليها، لهذا السبب يحذّرنا "رسل " من خطر اعتبار الرموز بمثابة الأشياء التي ترمز إليها وكذلك من خطر اعتبار الرموز كأنها من نوع واحد لأن هذا يوقعنا في مشاكل فلسفية ولغوية لا حصر لها، حيث يرى أن كل ما حدث في الفلسفة من غموض ومشاكل يرجع إلى خلط في الرمزية(Russell,B 1950: 187).

كما يحذّرنا "رودلف كارناب" "Rudolf Carnap" من خطر خلط السياق المادي للغة بسياقها الصوري حيث يرى أن المتحدث في اللغات العادية يكون معنيا في غالب الأحيان بالأشياء أكثر منه بالكلمات الدالة على تلك الأشياء ومادمنا في حاجة إلى لغة تسمح لنا بالحديث عن الأشياء و الحديث أيضا عن الكلمات التي تدلّ على تلك الأشياء، فإنه وجب علينا بناء لغة اصطناعية ذات مخزون كاف من القواعد النظمية تجعل الخطاب في السياق الصوري ممكنا (Carnap, R , 1937: 153). وتكمن أهمّية عزل السياق الصوري عن السياق المادي في اللغة في أن المشكلات الدلالية لا تثار إلا في السياق الصوري فالجملة: " السماء تمطر " تنتمي إلى السياق المادي بما أنها تتحدث عن واقعة مادية بينما الجملة (السماء تمطر" قضية ذات معنى") تنتمي إلى السياق الصوري . ويترتب على هذه التفرقة بين السياقين، تفرقة ذات أهمّية قصوى في فلسفة اللغة إلا وهي التفرقة بين ما تسمى باللغة الشيئية "Object Language" وبين لغة اللغة"Metalanguage" التي تتحدث عن اللغة الشيئية، كما أن ضرورة بناء اللغة الاصطناعية تكمن أيضا في أن اللغات العادية لا تفرق بين الصورة النحوية للجمل وبين صورتها المنطقية "Logical Form"، هذه التفرقة تجعل بعض القضايا ليس من الضروري أن تكون صادقة أو كاذبة –كما اعتقد أرسطو- ولكن يمكن أن تكون خالية من المعنى، وقد أشاد فتغنشتاين بتفرقة "رسل " بين الصورتين، حين قال:" وفضل رسل يعود إلى أنه قد أوضح أن الصورة المنطقية الظاهرة للقضية، ليس من الضروري أن تكون هي صورتها الحقيقية" (فتغنشتاين، ل، 1968: 4.0031).

ويكمن دور المنطق الأساسي في فلسفة اللغة عند دعاة اللغة الاصطناعية في أنه يكشف لنا بوضوح عن الصور المنطقية الحقيقية للجمل،فالعبارتان: كل إنسان فان وسقراط فان هما من الناحية النحوية عبارتان إسميتان ولكن المنطق الحديث يكشف لنا أنهما من صورتين منطقيتين مختلفتين، فالأولى من صورة: إذا كان س إنسان فان س فان وهي قضية شرطية متصلة تعبّر عن دخول فئة في فئة، بينما الثانية هي قضية حملية بسيطة تعبّر عن إنتماء أو عضوية فرد في فئة وهنا يعيب "رسل " على أرسطو عدم إدراكه للفارق الجوهري بين ا لعبارتين (رسل، ب، 1980:177). ويرى "رسل " أن المنطق يتدخل في التحليلات اللغوية من جهة أنه يبحث في جانبين أساسين هما:

أ- يتدخل المنطق الحديث في تحديد طبيعة الرموز اللغوية، بحيث يجعل من هذه الرموز شيئا ذا معنى أكثر من جعله شيئا لا معنى له (رسل، ب، 1969: 31).

ب- يتدخل المنطق الحديث في اللغة من أجل جعل المعنى واحدا ومحددا تماما في الرموز اللغوية بحيث لا يتغير معنى الرمز الواحد من سياق إلى آخر، وهنا نلاحظ تأثير فكرة النسق الاستنباطي "Deductif system" الذي يقوم على وجوب أن تكون عناصر النسق ذات معنى واحد محدد لا تتبدل داخل النسق.ويرى "رسل " أن اللغة المنطقية التي هي نتاج تدخل المنطق الحديث، بها قواعد من حيث بنائها اللفظي تمنع خلوها من المعنى، كما أنها ذات رموز مفردة ذات معنى محدد فريد دائما (رسل، ب، 1969: 31).

وعندما تضع الفلسفة لنفسها مثل هذه اللغة، تكون قادرة على تحقيق الوضوح في الفكر وقادرة على التعبير الدقيق عن الفكر العلمي وعن الصورة الحقيقية للواقع وبهذا يكون التحليل اللغوي وسيلة فعالة في فهم بنية العالم بل هو الوسيلة الوحيدة – حسب اعتقاد

فلاسفة التحليل- التي تمكننا من تحقيق ذلك الفهم، "إنّ الناس يتحدثون عن فهم الكون وما إلى ذلك، ولكن الشيء الوحيد الذي يمكنك أن تفهمه حقا (بالمعنى الدقيق للكلمة) هو رمز، ولتفهم رمزا ما هو أن تعرف ما الذي يشير إليه" (Russell, B 1950: 204).

ومن الواضح أن الفلسفة تختلف عن العلوم الطبيعية التي تبحث في الأشياء المادية بخصوصية موضوعها ألا وهو اللغة، ولهذا فإننا لا نفهم أشياء ولكننا نفهم قضايا كما أننا لا نعتقد أشياء ولكننا نعتقد قضايا (Russell,B 1950: 218) .وبهذا تصبح الفلسفة اللغوية مجموعة قواعد منطقية ترسم حدود التفلسف العلمي، من خلال بيانها ما يمكن أن يقال عن المشكلات الفلسفية بكلام ذا معنى وما لا يمكن أن يقال وما لا يمكن أن يقال ينبغي - في هذه الحالة- أن نصمت عنه (فتغنشتاين، ل، 1968: 7) لأنه لن يكون مما تعني الفلسفة بدراسته لأنه لا يمكن التعبير عنه في قضايا.

وبما أن اللغات العادية تتصف بالشمول، وبافتقارها إلى قواعد محددة تبين لنا مجال التفلسف العلمي وحدوده؛ فإنه وجب استبدالها بلغة منطقية تمكن الفلسفة من أن تحقق ذاتيتها وتميزها عن العلم « فليست الفلسفة علما من علوم الطبيعة، وكلمة "فلسفة" يجب أن تعنى شيئا إما أن يكون أعلى أو أدنى من العلوم الطبيعية، ولكن ليس على مستواها» (فتغنشتاين، ل، 1968: 4.111).

ثالثا- خصائص الفلسفة التحليلية:

رغم أن حركة التحليل المعاصر ليست مدرسة واحدة أو مذهبا واحدا، إلا أن هناك جوانب يشترك فيها فلاسفة التحليل يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- الاهتمام بالمشكلات الجزئية:

يرتبط مفهوم الفلسفة العلمية عند هؤلاء بمعالجة المشكلات الجزئية ارتباطا وثيقا (أنظر: زكي نجيب، م، 1980: 10 وما بعدها). وهذا على غرار العلوم الطبيعية. فلم تعد الفلسفة تهدف إلى بناء أنساق فلسفية شامخة وعلى حد رأي - زكي نجيب محمود- فقد مضى عصر الشوامخ (زكي نجيب، م، 1980: 10). لكن مهمتها تنحصر فقط في مشكلات جزئية تصل فيها إلى نتائج إيجابية تصلح لتحقيق الإستمرارية في البحث الفلسفي وليس كما هو الحال في الأنساق الفلسفية التقليدية التي كان يهدف أصحابها إلى تقديم تصور شامل للكون و الحياة، مما جعلها تتعارض فيما بينها. ولكن ليس معنى هذا أن فلاسفة التحليل يستبعدون المشكلات الكبرى من مجالات أبحاتهم، فقد تحدث رسل عن فهم الكون مثلا، ولكن المقصود من القول أنهم يهتمون بالمشكلات الصغيرة هو أنهم ينظرون إلى هذه المشكلات كطريقة للوصول إلى حل للمشكلات الكبيرة (مهران، م، 1986: 15). فمشكلة الكليات والجزئيات كانت مشكلة كبرى في الفلسفة ولكن فلاسفة التحليل يعالجونها بترجمتها في حدود القضية التي تحتوي على اسم علم ومحمول...إلخ.

2- الإهتمام الشديد بالمسائل المعرفية من زاوية تجريبية:

وهذا لأنهم فلاسفة تجريبيون متأثرون بالتجريبية الإنجليزية الحديثة كما تمثلت خاصة في أعمال "هيوم" "Hume" . حيث يرون أن التجربة الحسية هي وسيلتنا لمعرفة الواقع الخارجي، هذا النوع من المعرفة يؤدي دورا هاما في موقفهم من مسألة الدلالة في اللغة، حيث يرتبط معنى القضية عند أصحاب الوضعية المنطقية (شليك، كارناب، آير،

وغيرهم) بمبدأ التحقيق التجريبي وهو ما يترتب عليه أن القضايا التي لا تعبّر عن وقائع تجريبية، هي قضايا خالية من المعنى. كما تؤدي نظرية "رسل " في المعرفة المباشرة دورا أساسيا في فلسفته اللغوية وبخاصة في نظريته في أسماء الأعلام المنطقية.

وهذا يؤكد معنى الارتباط الشديد بين المعرفة التجريبية ومسألة الدلالة عند فلاسفة التحليل لدرجة أنه قيل إن السؤالين: كيف تعرف؟ «How do we Know? " وماذا نعني؟ "What do we mean? » شكلا مدار حركة التحليل المعاصر(**Encyclopaedia Universalis** , T12: 779).

3- **الاهتمام الشديد باللغة:**

إذ ينظر هؤلاء الفلاسفة إلى أن اللغة هي الطريقة المفضلة من بين كل الطرائق الموصلة إلى معرفة العالم، ومنه يكون تحليل اللغة عند هؤلاء ممارسة فلسفية حقيقية، حيث تكون مهمة الفلسفة هي البحث في العلاقة بين الأشياء التي تحدث في العالم وبين ما يحدث في أذهاننا عندما نستخدم اللغة، ومن هنا جاءت أهمّية التحليل وضرورته بهدف الكشف عن طبيعة اللغة وعن صلتها بالواقع.

وهذا ما نجده في قول "رسل " : " أما عن نفسي فإنني أعتقد أننا بدراستنا لبنية اللغة نستطيع إلى حد ما أن نصل إلى معرفة وافرة فيما يتصل ببناء العالم " (رسل، ب، 1960: 212). وهكذا فإن الفلسفة التي تتخذ اللغة موضوعا وحيدا لها، لا تعود مذهبا بل نشاطا أو فاعلية لتوضيح غموض اللغة (فتغنشتاين، ل، 1968: 4.112) ونتيجة التفلسف - فيما يرى "شليك"- ليس أن نجمع مخزونا متراكما من القضايا، بل أن نجعل القضايا الأخرى واضحة(آير، أ، 1994: 43). ويربط " رامزي" جدوى الفلسفة بالاهتمام باللغة حيث يرى أن ما يجعل الفلسفة ذات جدوى هو أن تسخّر في سبيل توضيح أفكارنا (رامزي، ف، 1994: 99).

إن اهتمام فلاسفة التحليل باللغة يجعل مفهومهم للفلسفة مختلفا كثيرا عن مفهومها عند الفلاسفة الآخرين فالفلسفة ليست بحثا في "المبادئ الأولى" ولكنها وظيفة نقدية للغة حيث يصبح التفلسف عند "آير" نشاطا تحليليا (Ayer ,A,1971: 37). كما أن المصطلحات الرئيسية التي يتداولها فلاسفة التحليل: "جملة " " قضية "، "معنى"، تبيّن بوضوح الطابع اللغوي للحركة (**Ency- Universalis** , T12: 976) .

رابعا- اتجاهات الفلسفة التحليلية:

كانت هذه أهم السمات المشتركة التي تميز فلسفة التحليل، وهي سمات هامة طبعت حركة التحليل المعاصر بطابع خاص جعلها تتميز عن باقي الحركات والاتجاهات الفلسفية الأخرى.

ولكن هناك نقاط اختلاف في هذه الحركة لا تقل أهمّية عن تلك السمات المشتركة والتي أدّت إلى ظهور اتجاهات متباينة داخل حركة التحليل، هذه الاتجاهات يمكن حصرها في ثلاث رئيسية هي]:

1- **الذرّية المنطقية "Logical Atomism"**:إسم الذّرية المنطقية كان من وضع "رسل" وهو صاحب هذه النظرية، وهي تسمية تدلّنا - بعض الشيئ- على طابعها ويرى "بيرس" "Pears" أن هذه النظرية لها علاقة بفلسفة "هيوم" "Hume"، الذي كان بدوره فيلسوفا ذرّيا، ولكن بينما كان "هيوم" يعتقد أن على الفلاسفة ممارسة تحليل نفساني

"Psychological Analysis" للأفكار فإن "رسل" كان يعتقد أن التحليل يجب أن ينصّب على القضايا ولهذا يصف فلسفته الذرّية بأنها منطقية(Pears, D, 1957: 44) . ويوضح "رسل " ما يقصده بهذه الفلسفة بقوله إنها تقوم على فكرتين أساسيتين هما: فكرة الكثرة أو التعددية "Pluralism" في مقابل الفلسفات الواحدية "Monism" مثل تلك التي نجهدها عند هيجل وبرادلي(Russell,B 1950: 204) ثم الطابع المنطقي لهذه الكثرة ؛ فالكثرة تتكون من ذرات منطقية وليست من ذرات فيزيائية وهذا ما ذهب إليه "رسل" قائلا: « إنّ السبب الذي من أجله أطلق على مذهبي ذرّية منطقية، هو أن الذرات التي أريد الوصول إليها في نهاية التحليل إنما هي ذرات منطقية، وليست ذرات فيزيائية». (Russell,B 1950: 180).

وقد تبنى "رسل " هذه النظرية بداية في كتابه: معرفتنا بالعالم الخارجي الذي نشر في العام 1914م، ثم و بشكل أكثر وضوحا في مجموعة محاضراته التي نشرت تحت عنوان فلسفة الذرّية المنطقية في العام 1918م. وقد تأثر "فتغنشتاين" بهذه النظرية في كتابه "رسالة منطقية فلسفية " الذي نشر في العام 1921م . ولكن مع اختلافات جوهرية عن نظرية "رسل " ومع نوع من الأصالة في الفكر وقدرة فلسفية فائقة تكاد توحي أنه أوّل من وضع النظرية. وما يهمنا فيها هو مفهومها للتحليل و للغة. و التحليل في الذرّية المنطقية مرتبط بنظرة ميتافيزيقية إلى العالم إذ يرى كل من "رسل " و"فتجنشتين" أن العالم ينحل إلى وقائع بسيطة ومن ثم فإن التحليل عندهما يهدف إلى تحليل اللغة إلى قضايا بسيطة حيث صورتها المنطقية تكون دليلا جيّدا لفهم الصور المنطقية للوقائع المقابلة لها (**Ency- Universalis** , T12: 978).

ولهذا اتخذ التحليل عند كل منهما طابعا ردّيا " Reductionnist" (Urmson J.O , 1960 : 146)، بالمعنى الذي يعمل فيه على ردّ القضايا المركبة والوقائع المركبة إلى مكوناتها البسيطة التي يطلقون عليها على التوالي عبارتي: القضايا البسيطة و الوقائع البسيطة بحيث يصل في نهاية المطاف إلى بيان ما هو مشترك بين القضية البسيطة و الواقعة البسيطة المقابلة لها ألا وهو الصورة المنطقية (فتغنشتاين، ل، 1968: 2.18) . وبما أن اللغة العادية لا تحتوي على قضايا ذرّية ولا تتصور الواقع على أنه عبارة عن وقائع ذرّية، فمن الواضح أن هذه اللغة لا يمكنها أن تعبّر عن الذرّية المنطقية ولذا وجب استبدالها بلغة منطقية اصطناعية و التي هي لغة القضايا والوقائع عند "رسل " و فتغنشتاين.

2- الوضعية المنطقية "Logical Positivism" تعدّ أشهر اتجاهات الفلسفة التحليلية جميعا، وترجع بداياتها الأولى إلى ما سمي بحلقة فينا "Vienna Circle " (Ayer ,A,1937: 70)، وهي حلقة ضمت مجموعة من الفلاسفة و الرياضيين والعلماء انضوت تحت لواء "موريس شليك" الذي كان أستاذا في جامعة فينا، أما أعضاؤها المؤسسون فقد كانوا: "فاسيمان" "Waisman"، وكارناب، ونويرات "Neurath"، وفايجل "Feigel" وكرافت "Kraft" من الفلاسفة، وهانزهان "Hahn" ، وكارل مانجر"Menger" ، وكورت جودل "Gôdel" من العلماء ويرجع تاريخ تأسيس هذه الحلقة إلى العام 1922م.

والمحور الرئيسي الذي تدور حوله الفلسفة الوضعية المنطقية هو محاربتها للميتافيزيقا عن طريق التحليل المنطقي للغة، ويستخدم أعضاؤها في ذلك ما يسمونه بمبدأ التحقيق "Principle of Verification" ، والذي مفاده أن معنى القضية يتجدد بواسطة طريقة تحقيقها، ويتم تحقيق معنى القضية بواسطة الملاحظة التجريبية(Ayer ,A,1937: 74). وبما

أن قضايا الميتافيزيقا لا تخضع للتحقيق التجريبي فإنها ستكون قضايا بلا معنى ولهذا يرفض الوضعيون المناطقة ميتافيزيقا الذرّية المنطقية عند رسل وفتغنشتاين حيث لم يعد التحليل اللغوي - عند هؤلاء- ينصب على الكشف عن البنية المنطقية للوقائع(**Ency-Universalis** , T12: 978) وإنما أصبح علاجا للفلسفة من مرض التأمل الميتافيزيقي (katz , G , 1966: 25).

ورغم أن فتغنشتاين قد اتخذ - في كتابه الرسالة - موقفا عدائيا اتجاه قضايا الميتافيزيقا (فتغنشتاين، ل، 1968: 4.003) إلا أن فلسفته في "الرسالة" كانت فلسفة ميتافيزيقية، كما أن محاربته للميتافيزيقا لا يمكن أن تجعلنا نعتقد أنه كان وضعيا منطقيا. وقد كان "كارناب" أكثر الوضعيين المناطقة تشددا في محاربة الميتافيزيقا، حيث يرى أن الخلط الفكري الذي يكتنف الميتافيزيقا ينتج عن أننا نميل إلى الاعتقاد أن القضية يكون لها معنى مادامت لا تخرق المواضعات التي توجد في اللغة العادية، رغم أن هذه اللغة تفتقد غالبا إلى مواضعات توجهنا نحو الاستعمال الذي يحقق المعنى (katz , G , 1966: 27)، ومع أننا نجد "كارناب" يعترف بوجود بعض المواضعات في اللغة العادية و التي تمنع مثلا تقرير قضية مثل "سيزار هو و" "Cezar is and"، إلا انه يرى أن هذه اللغة تخلو من مواضعات دلالية "Semantical Conventions" و التي يمكننا الرجوع إليها في حالة غياب المعنى كما هو الحال في القضية "سيزار عدد أولي" "Cezar is a prime number"، ولهذا وجب بحسب رأيه بناء لغة اصطناعية تحتوي على مواضعات خاصة لكل حالة من الحالات التي يغيب فيها المعنى (Carnap ,R: 1959: 57 -58).

ولهذا السبب يرفض الوضعيون المناطقة أن تكون اللغة العادية لغة الفلسفة لأنها لا تستطيع لا بمفرداتها ولا بتراكيبها استبعاد كل احتمالات اللامعنى ولذلك يستبدلونها "نظم منطقي" تدخل ضمنه المشكلات الفلسفية الحقيقية وكل ما يبدو أنه غير قابل لأن يدخل ضمن هذا النظم، فإنه لن يكون سوى "مشاكل زائفة" "Pseudo problems" يجب استبعادها من مجال التفلسف (Brekle , H , 1974: 16.).

وما نلاحظه من خلال هذا العرض السريع لمكانة اللغة في فلسفة التحليل المعاصر هو إهتمام أصحابها الشديد باللغة ليس كوسيلة لتمرير الخطاب ولكن كغاية قصوى للفلسفة ومن هنا تؤدي اللغة دورها الفعال في الفلسفة كأداة موجهة نحو بيان مجال التفلسف العلمي وحدوده.

غير أن فلاسفة التحليل لم يكونوا متفقين في مفهومهم للغة وفي موقفهم من اللغة العادية، كما أنهم لم يكونوا متفقين في مفهومهم للتحليل، لا من حيث طبيعة نتائجه ولا من حيث المنطلقات الفكرية أو الفلسفة التي ينطلقون منها. لهذه الأسباب ولغيرها لم تكن فلسفة التحليل المعاصر مدرسة ذات تصور واحد للفلسفة و للتحليل، ولكنها كانت اتجاهات متباينة متعارضة فيما بينها.

وقد كشف لنا هذا العرض، أن الاهتمام الأساسي عند أصحاب هذه الحركة يكمن - بالدرجة الأولى- في الدعوة إلى الاهتمام باللغة والاهتمام بالدلالة في جانبها المنطقي والدعوة أيضا إلى استخدام التحليل في الفلسفة، حيث رأينا أن كل إتجاهات الفلسفة التحليلية تتبنى هذا المنهج للدرجة التي لا يمكن معها فصل فلسفة التحليل عن فلسفة اللغة عند هذه الاتجاهات.

3- **فلسفة التحليل العلاجي** "Therapeutic Analysis":اتجاه في فلسفة التحليل تبناه فتغنشتاين بعد أن تراجع عن آرائه الذرية المنطقية التي دافع عنها في "الرسالة"، حيث تبنى هذا الاتجاه في كتابه " أبحاث فلسفية Philosophical Investigations". وبعد أن كان يعتقد أن الغموض ينتج بسبب عدم توفر اللغات العادية على قوانين منطقية، صار يرى أن الغموض ينتج عن سوء فهمنا لقواعد الاستعمال الصحيح في اللغات العادية، ومن ثم فإن الكلمات لم تعد عنده "رسوما" للوقائع لكنها أصبحت وسائل للاتصال مع الآخرين.

ورغم أن هذا الاتجاه ينسب عادة لفتغنشتاين، إلا أن "جورج مور" "George Moore" كان أول من ذهب إلى أن المشكلات الفلسفية ترجع إلى أن الفلاسفة يستخدمون مصطلحات بمعاني لا يفهمها "الإحساس العام"، لهذا رأى أن التحليل يجب أن ينصب على توضيح التصورات كما تستخدم في اللغة العادية (مدين، م، 1989: 40). ويتفق فتغنشتاين مع مور في كون المشكلات الفلسفية تنتج عن استخدام الفلاسفة للكلمات بمعاني بعيدة عن الاستخدام المألوف، ومن هنا فإن هؤلاء الفلاسفة " خلقوا لأنفسهم مشكلات مثل الشك في وجود العالم وفي وجود بشر غيرنا لهم عقول ومشاعر وحالات نفسية وعمليات عقلية ونحو ذلك " (Wittgenstein , L , 1967: 133.).ويكمن التحليل العلاجي حسب فتغنشتاين في الوصف الصحيح للاستعمال الحقيقي للكلمة أو العبارة التي أدى استعمالها الخاطئ إلى الغموض الفلسفي (katz , G , 1966:69) . وبعبارة أخرى يهدف التحليل العلاجي إلى علاج الفلاسفة بالعمل على إعادتهم إلى اللغة العادية والاستخدام المألوف للكلمات (زيدان، ف، 1985: 53).

وقد وجد التحليل العلاجي صدى إيجابيا عند بعض أساتذة جامعة كمبردج اين كان يشتغل فتغنشتاين بالتدريس، حيث تأثر بأفكاره كل من " ويزدم Wisdom"و"بول Paul" و"مالكولمMalcolm" وغيرهم، وقد تبلور هذا الاتجاه العلاجي في التحليل بعد وفاة فتغنشتاين(1951) حيث انتقل هذا الاتجاه إلى جامعة أكسفورد وأخذ إسم "**فلسفة أكسفورد**" (katz , G , 1966:64) وكذلك إسم "**الفلسفة اللغوية**" (katz , G , 1966:64)، حيث هذه الفلسفة في موطنها الجديد فلاسفة أمثال "رايل Ryle" و"أوستن Austin "و"ستراوسنStrawson" من الإنجليز، وهامشير Hamshire" في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرهم . ويرى "كاتز" أن ميلاد الفلسفة اللغوية كان بمثابة رد فعل اتجاه الصعوبات التي واجهت الوضعيين المناطقة (katz , G , 1966:64)' وكان ذلك خاصة بسبب دعوتهم إلى بناء لغات اصطناعية، حيث يرى الفلاسفة اللغويون أن اللغة العادية صالحة للتعبير عن قضايا الفلسفة، ويشترطون فيها فقط أن تستعمل استعمالا صحيحا، والاستعمال الصحيح عندهم هو الاستعمال العادي.

ومع أننا نجد هؤلاء الفلاسفة اللغويين يعتقدون أن قضايا الميتافيزيقا هي بلا أساس، إلا أن ذلك ليس في اعتقادهم لأنها لا ترد في لغة اصطناعية –كما اعتقد كارناب وشليك وغيرهما – ولكنها بلا أساس لأنها لا تظهر في لغة عادية عندما تستعمل استعمالا صحيحا (زكي نجيب، م، 1965، المقدمة).

وفي ختام هذا العرض للفلسفة التحليلية ولاتجاهاتها، فإنه من المفيد أن نشير إلى نقطة بالغة الأهمية ألا وهي أثر الفلسفة التحليلية في الفكر العربي، وهنا نلاحظ أن هناك

تفاوتا من اتجاه إلى آخر، حيث جاءت الوضعية المنطقية في المقدمة تلتها الذرية المنطقية ثم فلسفة التحليل العلاجي.

أما عن الوضعية المنطقية فزيادة على الاهتمام الذي حظيت به من قبل المشتغلين بالفلسفة في الوطن العربي، فقد وجدت من يتبناها في هذا الوطن ونقصد بهذا الدكتورزكي نجيب محمود الذي عبر عن تبنيه لهذه الفلسفة في مواضع كثيرة من كتبه، حيث قال في كتابه " المنطق الوضعي ":

« ولما كان المذهب الوضعي بصفة عامة –والوضعي المنطقي الجديد بصفة خاصة – هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمي كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم، فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه، وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات، فأمحو منها –لنفسي– ما تقتضي مبادئ المذهب أن أمحوه ... » (زكي نجيب، م، 1965: المقدمة). وقال في كتابه "نحو فلسفة علمية " متحدثا عن الرابطة التي جمعت أصحاب الوضعية المنطقية قائلا:«... وما تلك الرابطة التي ربطت هؤلاء الرجال في جماعة واحدة، إلا ما بينهم من اتفاق على أن يعلمنوا الفلسفة، أي أن يجعلوا الفلسفة علمية الطابع، فيطبقوا عليها ما يطبق على العلم من دقة وصرامة، حتى لا يعود بساحتها موضع لكلمة غامضة المعنى كهذه الكلمات الكثيرة التي ألفتها الفلسفة في شتى عصورها السابقة...وحتى تتخلص الفلسفة من تقاليدها الموروثة التي كانت تورطها في ضرب من الكلام الخالي من المدلول إذا قيست الدلالة بمقياس التحقيق العلمي... » (زكي نجيب، م، 1980: 30).

الهوامش:

(1) زكي نجيب محمود، 1980، حياة الفكر في العالم الجديد، ط1، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

(2) فتغنشتاين لدفيج، 1968، رسالة منطقية فلسفية، ط1، ت، عزمي إسلام، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

(3) katz Gerold , 1966 , La philosophie du langage ,Trad de ,Janick Gazio,France, Payot .

(5) رسل برتراند، 1960، الفلسفة بنظرة علمية، تلخيص زكي نجيب محمود، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

(6) بدوي عبد الرحمن، 1979، مدخل جديد إلى الفلسفة، ط2، الكويت، وكالة المطبوعات.

(7) Grawitz Madeleine , 1981, Methodes des sciences sociales , 5eme ed, Paris ,Dalloz .

(8)Russell Bertrand , 1950, The Philosophy of Logical Atomism in Logic and Knowledge Essays (1901-1950), London ,George Allen and Unwin.

(9) Carnap Rudolf , 1937 , The Logical syntax of Language, London ,Kegan Paul.

(10) رسل برتراند، 1980، مقدمة للفلسفة الرياضية، ت، محمد مرسي أحمد، ، القاهرة، سجل العرب.

(11) رسل برتراند، 1968، مقدمة رسالة منطقية فلسفية، ط1، ت، عزمي إسلام، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

(12) أنظر: زكي نجيب محمود، 1980، نحو فلسفة علمية، ط2، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية .

(13) مهران محمد، 1986، فلسفة برتراند رسل، ط3، القاهرة، دار المعارف.

(14) Encyclopedia Univasalis , 2eme ed , Tome12, Paris,P.U.F.

(15) رسل برتراند، 1960، فلسفتي كيف تطورت، ط1، ت، عبد الرشيد صادق، مراجعة، زكي نجيب محمود، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.

(16) آير ألفرد ناشر، 1994، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ط1، ت، نجيب الحصادي، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر.

(17) فرنك رامزي، 1994، الفلسفة في كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ط1، ت، نجيب الحصادي، ليبيا، الدار الجماهيرية للنشر.

(18)Ayer Alfred, 1971, Language truth and Logic , 1st ed, London , V, Gollanez.

(19) Pears David , 1957, Logical Atomism Russell and Wittgenstein , in, The Revolution in Philosophy , London, Macmillan company .

(20) Urmson J.O, 1960 , Philosophical Analysis , its development between the two world wars , 1st ed, Oxford .

(21) Ayer Alfred , 1957, The Vienna Circle , in , The Revolution in philosophy , London, Macmillan company .

(22) Carnap Rudolf, 1959, The Elimination of Metaphysics Through the Logical Analysis of Language in Logical Positivism, London, Macmillan Company .

(23) مدين محمد، 1989، الحركة التحليلية في الفكر المعاصر، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

(24)Wittgenstein Ludwig, 1967, Philosophical Investigations, London, Basil Blackwell.

(25) محمود فهمي زيدان، 1985، في فلسفة اللغة، بيروت، دار النهضة العربية.

(26) زكي نجيب محمود، 1965، المنطق الوضعي، ج1، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية.